

سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَيْرًا﴾ (58)

شرح الكلمات:

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ} الذي له الحياة الكاملة المطلقة
{الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} أي: عبده وتوكل
عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق.
{وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا} يعلمها ويجازي
عليها.

المعنى الإجمالي :

قوله {وتوكل على الحي الذي لا يموت} يأمر تعالى
رسوله أن يمضي في طريق دعوته مبلغاً عن ربه داعياً
إليه متوكلاً عليه أي مفوضاً أمره إليه إذ هو الحي
الذي لا يموت وغيره يموت، وأمره أن يستعين على
دعوته وصبره عليها بالتسبيح فقال {وسبح بحمده}
أي قل سبحان الله وبحمده، وسبحانك اللهم
وبحمدك وهو أمر بالذكر والصلاة وسائر العبادات
فإنها العون الكبير للعبد على الثبات والصبر. وقوله
تعالى {وكفى به بذنوب عباده خيراً} أي فلا تكرب
لهم ولا تحزن عليهم من أجل كفرهم وتكذيبهم
وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محص عليهم أعمالهم
وسيجزيهم بما في عاجل أمرهم أو آجله.

و الحق تبارك وتعالى يُطمئن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا محمد لا
تتم بكثرة الكفار ومكرهم بك وتعاونهم مع شياطين الإنس والجن؛
لأن هؤلاء سيتساقطون ويموتون، إما بأيديكم، أو بعذاب من عند
الله، وعلى فَرَض أنهم عاشوا فلن تغلب قوتهم وحيلهم قوة الله تعالى
ومكره، وإنْ توكّلوا على أصنام وقبور لا تضر ولا تنفع، فتوكل أنت
على الله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: 58]
وكان الحق تبارك وتعالى يريد أن ينصّح خلقه: إنْ أردتْ أنْ تتوكل
فتوكل على مَنْ ينفَعك ولا يتركك، على مَنْ يظل على العهد معك
لا يتخلى عنك، على مَنْ لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
هذه هي الفِطْنة. ويجب عليك حين تنزه الله تعالى ألا تنزهه تنزيهاً
مُجَرِّداً، إنما تنزيهاً مقروناً بالحمد {وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} [الفرقان: 58]
فتحمده على أنه واحد لا شريك له، ولا مثيل له، وليس كمثل
شيء، ففي ظل هذه العقيدة لا يستطيع القوي أن يطغى على
الضعيف، ولا الغني على الفقير.

{وكفى به بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا} [الفرقان: 58] المعنى: إذا
توكلتْ على الحي الذي لا يموت، فآثار هذا التوكل أنْ
يحميك من ذنوب العباد، فهو وحده الذي يعلم ذنوبهم،
ويعلم حتى ما يدور في أنفسهم. وكان الحق سبحانه يُطمئن
رسوله: مهما تآمروا عليكم، ومهما دبّروا لك، ومهما تكاتف
ضدك جنودُ الإنس والجن، فاطمئنْ لأن ربك عليم بالذنوب
التي قد لا تدركها أنت، ولا حيلة عندك لردّها، فيكفيك أن
يعلم الله ذنوب أعدائك.

عوائق التوكل:

- 1- الجهل بمقام الله من ربوبية وألوهية، وأسماء وصفات.
- 2- الغرور والإعجاب بالنفس.
- 3- الركون للخلق والاعتماد عليهم في قضاء الحاجات.
- 4- حب الدنيا والاعتزاز بها مما يحول بين العبد والتوكل؛ لأنه عبادة
لا تصح مع جعل العبد نفسه عبداً للدنيا.

ثمار التوكل:

- 1- تحقيق الإيمان: قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].
- 2- طمأنينة النفس وارتياح القلب وسكونه.
- 3- كفاية الله المتوكل جميع شؤونه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].
- 4- يورث محبة الله تعالى للعبد لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾
- 5- يورث قوة القلب وشجاعته، وثباته وتحديده
للأعداء.
- 6- يورث النصر والتمكين.
- 7- يقوّي العزيمة والثبات على الأمر.

وسائل تحقيق التوكل:

- 1- استشعار فقر العبد وحاجته إلى الله.
 - 2- معرفة الله - سبحانه وتعالى.
 - 3- استشعار ضعف المخلوقين، وأن أمورهم كلها بيد الله -
سبحانه وتعالى.
 - 4- العلم بالأسباب الطبيعية ليست أكيدة في تحقيق
مسيباتها.
 - 5- أن حصول ما ظاهره الخير ليس مقتصرًا على ذلك.
- للتسبيح فوائد عظيمة جداً نذكر بعضاً منها:**
أولاً: التسبيح من أحب الكلام إلى الله تبارك وتعالى.
ثانياً: التسبيح يحط الخطايا وإن كثرت.
ثالثاً: التسبيح من أفضل ما يأتي به العبد يوم القيامة.
رابعاً: أن المسيح تغرس له بكل تسبيحة نخلة في الجنة.
خامساً: التسبيح وسيلة لكسب الحسنات.
سادساً: التسبيح ثقيل في الميزان يوم القيامة.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (500)



فَوَائِدُهَا مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ الْفَرَقَانِ الْإِلَهِيَّةِ 58

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

12- التوكل على غير الله تعالى أقسام:

أحدها: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله؛ كال்தوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت في تحقيق المطالب من النصر والحفظ والرزق أو الشفاعة؛ فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة؛ كمن يتوكل على سلطان أو أمير أو أي شخص حي قادر فيما أقدره الله من عطاء أو دفع أذى ونحو ذلك؛ فهذا شرك أصغر؛ لأنه اعتماد على الشخص.

الثالث: التوكل الذي هو إنابة الإنسان من يقوم بعمل عنه مما يقدر عليه كييع وشرء؛ فهذا جائز، ولكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل إليه فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أموره التي يطلبها بنفسه أو نائبه؛ لأن توكيل الشخص في تحصيل الأمور الجائزة من جملة الأسباب، والأسباب لا يعتمد عليها، وإنما يعتمد على الله سبحانه الذي هو مسبب الأسباب وموجد السبب والمسبب.

13- من أعمال اللسان ذكر الله تبارك وتعالى بالتسبيح، والتسبيح هو كما قال العلامة المفسر الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: "التسبيح هو تنزيه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

14- من أكثر التسابيح التي وردت عن الرسول الأعظم والتي كان دائم التسبيح بها، هي " سبحان الله وبحمده " و " لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " و " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " و " سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم "

والله اعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- توكل على الله الذي له جميع معاني الحياة الكاملة كما يليق بجلاله الذي لا يموت، ونزّهه عن صفات النقصان. وكفى بالله خبيراً بذنوب خلقه، لا يخفى عليه شيء منها، وسيحاسنهم عليها ويجزيهم بها.

2- وجوب التوكل على الله فإنه الحي الذي لا يموت وغيره يموت.

3- وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه.

4- التوكل معناه اعتماد القلب على الله تعالى، واتخاذ الأسباب الظاهرة.

5- توكل في أمورك على الله الحي الذي لا يمكن أن يموت، ونزّهه وقدره حامداً أنعمه، ودع من خرج عن الجادة، فالله خير بهم مكافئ لهم على ذنوبهم.

6- التوكل على الله خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وهو من أعلى مقامات اليقين، وأشرف أحوال المقرين، وهو نظام التوحيد وجماع الأمر.

7- لتوكل من أجمع أنواع العبادة وأعظمها؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة.

8- التوكل أصل من أصول العبادة التي لا يتم توحيد العبد إلا به

9- التوكل داخل في معنى العبادة، واقترن التوكل بالتقوى في مواضع؛ منها: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11].

10- الصبر والتوكل من أقوى الأسلحة في مواجهة الشدائد والصعاب في طريق الدعوة وتحمل أعبائها.

11- التوكل على الله والاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، وحصول الأرزاق، والنصر على الأعداء، وشفاء المرضى وغير ذلك - من أهم المهمات وأوجب الواجبات، وهو من صفات المؤمنين